

قيم التسامح والمحبة في الدين الإسلامي والمسيحي



المسيحية دين محبة والإسلام دين رحمة وهنا التكامل محبة ورحمة، قال الله تعالى في محكم كتابه: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة/ 256). كل الأديان تبشّر بالقيم الإنسانية، وهذا شيء ليس جبرياً وإنما اختيارياً، وهي حريّة اعتناق الأديان، فقد جاء في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات/ 13).

ولادة السيد المسيح (عليه السلام) من المحطات الهامّة في تاريخ الرّسول والرسالات، فولادته كانت معجزةً وآيةً من آيات الله الخالدة، فيجب قرأتها كما هي بتعقّل وتدبّر، لنتعرّف إلى قدرة الله في خلقه، وما يريد من حكمة في إظهار المعجزات على البشر. وكانت في تاريخ الرسالات دعوة مفتوحة للناس كي يقرأوا بتمعّن هذه التجربة التي كانت مدرسة رائدة في نشر قيم الفضائل والتسامح والمحبة، وإعادة تحفيز العقول على الإفادة من دعوة الرّسول. فهي دعوة رحبة بمعناها وجوهرها الأصيل التي تجمع كل قيم المحبة والتسامح التي هي شعار كل الأديان.

جاءت رسالة السيد المسيح (عليه السلام) بعد فترةٍ طويلةٍ استغرق فيها الناس بالأساطير والخرافات والسلحية والزخارف من القول، وذلك بعد ابتعادهم عن شريعة النبي موسى (عليه السلام)، إذ انحرفوا وتجمّدت عقولهم وتصحّرت نفوسهم، وعاشوا الانحراف السلوكي والعقدي. فكان أن بعث الله تعالى رسولاً من عنده، معجزةً في خلقه، إذ وُلِد بلا أب، ومن أمٍّ طاهرة نقيّة عفيفة؛ إنَّها إرادة الواضحة، لجهة إلقاء الحجّة على الناس، بما في هذه المعجزة من خيرٍ لهم وفلاح، وأنّ عليهم أن يقابلوا هذه التجربة بمسؤولية، ويكونوا على قدر المهمّة في استلهاها، وإعادة تصويب مسارهم ومسيرتهم.

في ذكرى مولد نبي المحبة والتسامح سيّدنا عيسى بن مريم (عليهما السلام)، نتعلّم معنى الحبّ

الحقيقي في السعي إلى حفظ النفس من الضياع والانحراف، وتحسينها بالمحيبة التي تقرّب بين القلوب، وتعلّم معنى التسامح والحوار، حيث الحوار أداة معرفية منتجة لا تبغي تسجيل النقاط، بل مقاربة الحقيقة والأفكار خدمة للإنسان وحركته. ونتعلّم من السيّد المسيح (عليه السلام) كيف نمارس الأخلاق العملية في حياتنا، وكيف ندفع بالتي هي أحسن السيئة، وكيف نسامح بعضنا البعض، وكيف نترفّع فوق الأنانيات والرغبات والعصبيات. قال تعالى: (ادْفَعْ بِاللِّسَانِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيَرَةِ) (المؤمنون/ 96). وقد نُقل عن السيّد المسيح (عليه السلام) قوله: «لا يجتمع حبّ الإنسان مع كره الإنسان»، فكيف تريد أيّها الإنسان أن تحبّ الإنسان الذي هو الخير المطلق والعدل المطلق، وأن تتقرّب إليه وأنت تحمل الكره في صدرك، فالحبّ لا يجتمع مع الكره بتاتا؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

لقد علّمنا السيّد المسيح (عليه السلام) أنّ الدين ليس مجرد أحكام وطقوس تعزل الناس عن الحرام فقط، بل جوهر الدين هو دفع النفس كي تقتحم ساحة التحديات وتواجه الضغوطات، بحيث تسمو وترتفع إلى الله، وليست الدعوة إلى الله مهمة سهلة. قال الله سبحانه: (وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ أَعْمَالَكُمْ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُمُّ وَمَنُورُهُ) (التوبة/ 105). كما أطلق المسيح (عليه السلام) نفسه في فضاء التبليغ والدعوة إلى الله، وكابد وعانى وضحي من أجل نشر رسالة الله وتبليغ دعوته، بالأسلوب الذي يخاطب القلوب والعقول بلا حواجز وموانع. وكذلك كان نبيّ الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو نبيّ الرحمة على الرغم من كلّ العثرات في نشر الرسالة إلا أنّّه كان نبيّ ربّاني مُرسلاً. فتحمل أعباء الرسالة وكان خير قدوة لذلك، كما في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيذُنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظًا لَّانفَضُّوا مِنكُمْ وَاللَّيْكُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَاسْأَلْهُمُ فِي الْأُمُورِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ يَحَبِّبُ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران/ 159).